

٩٥

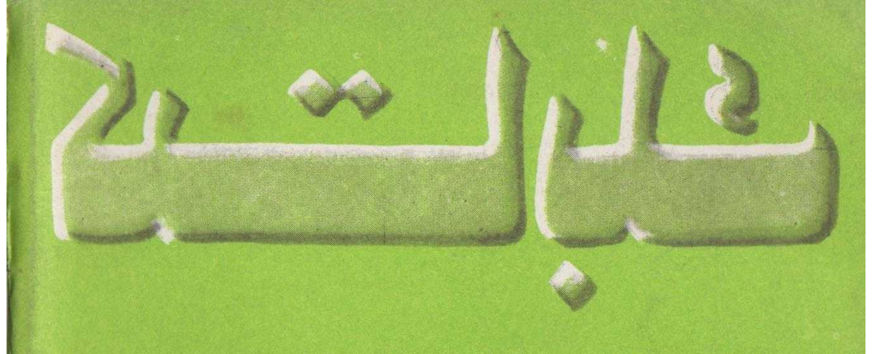
دكتور محمد أحمد العزب

الإعجاز القرآنى

من الوجهة التاريخية



دار المعارف

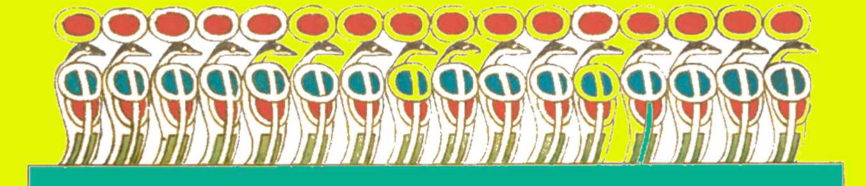


هـذا الكتاب

كتاب يلقى الضوء على الإعجاز القرآنى وقضاياه قديماً وحديثاً فى مسيرته التاريخية . . مؤكداً ضرورة تصحيح الفهم فى قضية علاقة الإعجاز بعبقرية اللغة . . وعلاقته بالدراسات البلاغية . . وعلاقته بالتطور فى المفاهيم التاريخية والحضارية . . والفلسفات المختلفة والمواقف الفكرية والعقائدية المتوارثة . .

٤٥٠٦١٠/١

١٠ ج



ندعوكم لزيارة قنواتنا على اليوتيوب

قناة الإرشاد السياحي



قناة تهتم بالحضارة المصرية وتحتوي على فيديوهات تشرح مواقع الحضارة المصرية القديمة من معابد ومقابر وآثار منقولة في المتاحف بإضافة إلى العديد من الكتب المسموعة على اليوتيوب مصحوبة بالتعليق ووهي عن التاريخ المصري بوجه عام من تاريخ قديم وتاريخ مصر في العصور الاسلامية

قناة الكتاب المسموع



الكتاب المسموع

قناة تهتم بالقصص القصيرة والروايات الطويلة سواء للكتاب العرب أو الأجانب ومنها قصص بوليسية ورعب واجتماعية وخيالية وواقعية وسير ذاتية وأطفال

صفحة تحميل الكتب



كتب سياحية و أثرية و تاريخية عن مصر

@AhmedMa3touk · كتاب





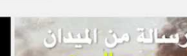
الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

731 مشتركًا

مشترك | CSV EXPORT | ADD COMPETITOR

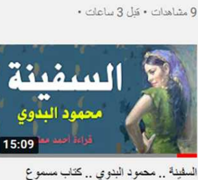
الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | القنوات | مناقشة | لمحة

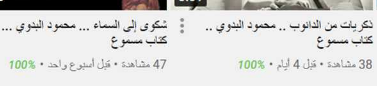
الفيديوهات المُحمَّلة | تشغيل الكل | Top Keywords | الترتيب حسب






- 6:07 — رسالة من الميدان .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 9 مشاهدات • قبل 3 ساعات •
- 7:22 — صرخة في الليل .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 41 مشاهدة • قبل يوم واحد • 100%
- 12:01 — الخنزير .. تأليف محمود البدوي .. كتاب مسموع — 50 مشاهدة • قبل يومين • 100%
- 8:52 — الغريق ... محمود البدوي .. قصة قصيرة — 38 مشاهدة • قبل 3 أيام • 100%



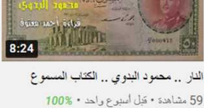



- 15:09 — السفينة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 59 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- 5:01 — ذكريات من الدانوب .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 38 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- 13:43 — شكوى إلى السماء ... محمود البدوي ... كتاب مسموع — 47 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 5:23 — دارلنج ... محمود البدوي .. كتاب مسموع — 55 مشاهدة • قبل أسبوع واحد •









- 18:43 — العزبة الجديدة ... محمد البدوي .. كتاب مسموع — 124 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 15:25 — العذراء والليل .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 75 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 3:52 — فاعل خير .. محمود البدوي .. قصص قصيرة — 44 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 8:24 — النار .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 59 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%





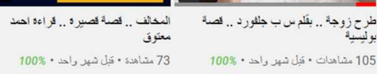

- 12:38 — حارس المحطة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 87 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- 13:05 — دروس خصوصية .. محمود البدوي .. قراءة أحمد معتوق — 82 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- 17:40 — ليلة في بوخاريست ... محمود البدوي ... قصة رومانسية — 96 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 30:36 — حلم الموت .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 107 مشاهدات • قبل 3 أسابيع • 100%






- 48:44 — تابوت الموتى .. قصة مسموعة .. قراءة احمد معتوق — 130 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 32:13 — الطاعة العمياء .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 123 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 34:20 — الساحرة .. س ب جلفورد .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 156 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%
- 16:40 — الخادم الذي لم يقتل .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 95 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%



- 22:57 — طرح زوجة .. بقلم س ب جلفورد .. قصة بوليسية — 105 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- 10:46 — المخالف .. قصة قصيرة .. قراءة احمد معتوق — 73 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 36:22 — جزيرة الكنز ... قصة بوليسية .. ريتشارد هارديج .. كتاب مسموع — 110 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- 33:19 — المقبرة ... قصة بوليسية .. كتاب مسموع — 138 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%


51:45
سر الصندوق .. قصة بوليسية .. قراءه أحمد معتوق
132 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%



19:56
في سيدي العتريس .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
113 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%



20:24
في المبتديان ... يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


21:45
في الناصرية ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
141 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%



20:44
في الخليج المصري ... يوسف السباعي ... قصص قصيره
137 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


20:37
في زين العابدين .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع
117 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


21:32
في حارة السيده ... يوسف السباعي ... الكتاب الموسع
130 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


19:48
في البغالة ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
146 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

20:47
في سيدي الحبيبي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
103 مشاهدات • قبل شهر واحد 100%

20:28
في الموارِدي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

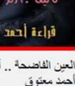

21:12
في سيدي زينهم ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
139 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

20:07
في جنينة ناميش .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
132 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


19:32
في ابو الريش .. يوسف السباعي
127 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


36:34
سر المسحوق الوردي - من الخيال العلمي - قراءه أحمد معتوق
100 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


29:04
القصر المسكون ... دونالد هوينج .. الكتاب المسموع
140 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%


13:37
العين الفاضحة .. آرثر بروجيس .. قراءه أحمد معتوق
61 مشاهدة • قبل شهرين 100%


12:52
سخرية القدر.. كارول مايرز - كتاب مسموع
85 مشاهدة • قبل شهرين 100%


42:56
المزحة القاتلة
97 مشاهدة • قبل شهرين 100%


44:54
رحلة غرامية .. قصة من الأدب الأمريكي
100 مشاهدة • قبل شهرين 100%



49:00
آلة الزمن ... قصة قصيرة .. قراءه أحمد معتوق
97 مشاهدة • قبل شهرين 100%

16:45
آلة الجنون ... ليو إليس .. قراءه أحمد معتوق
52 مشاهدة • قبل شهرين 100%

13:02
حتى يفرق الموت بيننا - كارول مايرز - قصة قصيرة
56 مشاهدة • قبل شهرين 100%

17:52
عندما يموت هذا الرجل - قصة قصيرة
76 مشاهدة • قبل شهرين 100%




35:10
كأس وليمونة ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
88 مشاهدة • قبل شهرين 100%

6:18
على الحياد ... محمود تيمور ... قصة قصيرة .. الكتاب المسموع
88 مشاهدة • قبل شهرين 100%

6:34
ليلة العرس ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
108 مشاهدات • قبل شهرين 100%



13:30
الجنتلمان ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
86 مشاهدة • قبل شهرين



4:10:56
كتاب مسموع ... نفحة من الايمان (المجموعة القصصية كاملة) ... يوسف...
256 مشاهدة • قبل شهرين 100%





قناة الإرشاد السياحي في مصر
38.4 ألف مشترك

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | المنتدى | القنوات | لمحة

الفيديوهات المُحمّلة تشغيل الكل | الترتيب حسب



نائب عزرائيل .. الرواية كاملة .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع
2.8 ألف مشاهدة • قبل 4 أيام • 92%

كتاب مسموع .. نفحة من الإيمان (كاملا) .. يوسف السباعي ..
584 مشاهدة • قبل 6 أيام • 85%





المومياوات المصرية .. اعجب ما يمكن أن تشاهد أو تسمع .. !!
5.4 ألف مشاهدة • قبل أسبوعين • 95%



زيارة للجنة والنار ... مصطفى محمود .. كتاب مسموع
36 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 92%

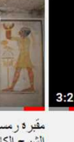


معابد جزيرة فيلة .. درة المعابد المصرية .. الشرح الكامل ل 400 مشهد بالصور
3.5 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 97%



كتاب الخروج من التابوت (قصة) .. مصطفى محمود .. كتاب مسموع
28 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 91%





كتاب كلمة السر (كاملا) - مصطفى محمود - كتاب مسموع
30 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 93%

مقبرة رمسيس التاسع .. وادي الملوك .. الشرح الكامل لأعجب رحلة في العالم...
61 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 94%



كتاب مسموع 12 إمرأة - المجموعة كاملة ليوسف السباعي
2.6 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 97%

كتاب عصر القرود (النسخة الكاملة) - مصطفى محمود - كتاب مسموع
51 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 95%





كتاب مسموع ساخر - فانتازيا فرعونية - محمد عفيفي
3.6 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 98%



المتحف المصري (5) كنوز الدولة الحديثة - العصر الذهبي
4.1 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 95%

كتاب الشيطان يحكم (النسخة الأصلية) - مصطفى محمود - كتاب مسموع
264 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 94%



بلاد النوبة - كتاب مسموع
1.7 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 97%



معبد حتحور بدندرة - الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور
8.4 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 98%



كتاب الأهرامات المصرية (كامل) - احمد فخري - كتاب مسموع
17 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب القاهرة القديمة و أحياؤها (كتاب مسموع)
4.5 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب موسوعة تاريخ مصر الإسلامية (كتاب مسموع)
12 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 97%



عودة المومياء The Mummy 2001 Returns (ملخص الفيلم) - أفلام عن...
3.9 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 100%





فيلم المومياء The Mummy 1999 (ملخص الفيلم) - افلام عن مصر
5.8 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 93%






كتاب الشفاعة كاملا - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
19 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر 96%

شرح معبد حتشبسوت بالدير البحري تفاصيل المناظر بالصور
15 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر 96%

تاريخ مصر تحت حكم الرومان كاملا - فاروق القاضي (كتاب مسموع)
8.6 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر 97%

كتاب تاريخ مصر في عصر البطالمة - إبراهيم نصحي (كتاب مسموع)
8.7 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر 97%





قصر البارون الجزء الأول اللعنة
3.7 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 96%
ترجمة مصاحبة

كتاب مصر الفرعونية كامل - أحمد فخري - التاريخ المصري (كتاب مسموع)
75 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 97%

كتاب الخروج من الجسد (كتاب مسموع)
12 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 95%

مجموعة زوسر والهرم المدرج بسقارة - الشرح الكامل
21 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 97%




كتاب أخناتون كامل (كتاب مسموع)
14 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 96%

المتحف المصري (4) الدولة الوسطى وكنوزها بالمتحف
28 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 96%

أمنمحات الأول ولد فقيرا وعاش عظيما وقتل وحيدا
2.2 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 95%

حاملة القرابين أرشق عارضة أزياء من مصر القديمة
1 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 94%



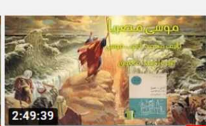



تمثال منتوحتب الثاني (صدفة أم نبوءة تحققت) من الجزء الرابع المتحف...
2.8 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 95%

كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
69 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 96%

كتاب الله و الانسان كامل - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
216 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 93%

معبد إدفو الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور
14 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 96%





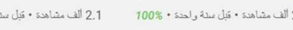
كتاب موسى مصريا كاملا - نظرية فرويد في التاريخ اليهودي (كتاب مسموع)
22 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 93%

رواية عودة مومياء (كتاب مسموع) - ألفريد هتشكوك
3.9 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 94%

كتاب معنى الاحلام و غرائب أخرى (كتاب مسموع)
9.6 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 94%

كتاب الأشباح المشاغبة وغرائب أخرى (كتاب مسموع)
10 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 95%



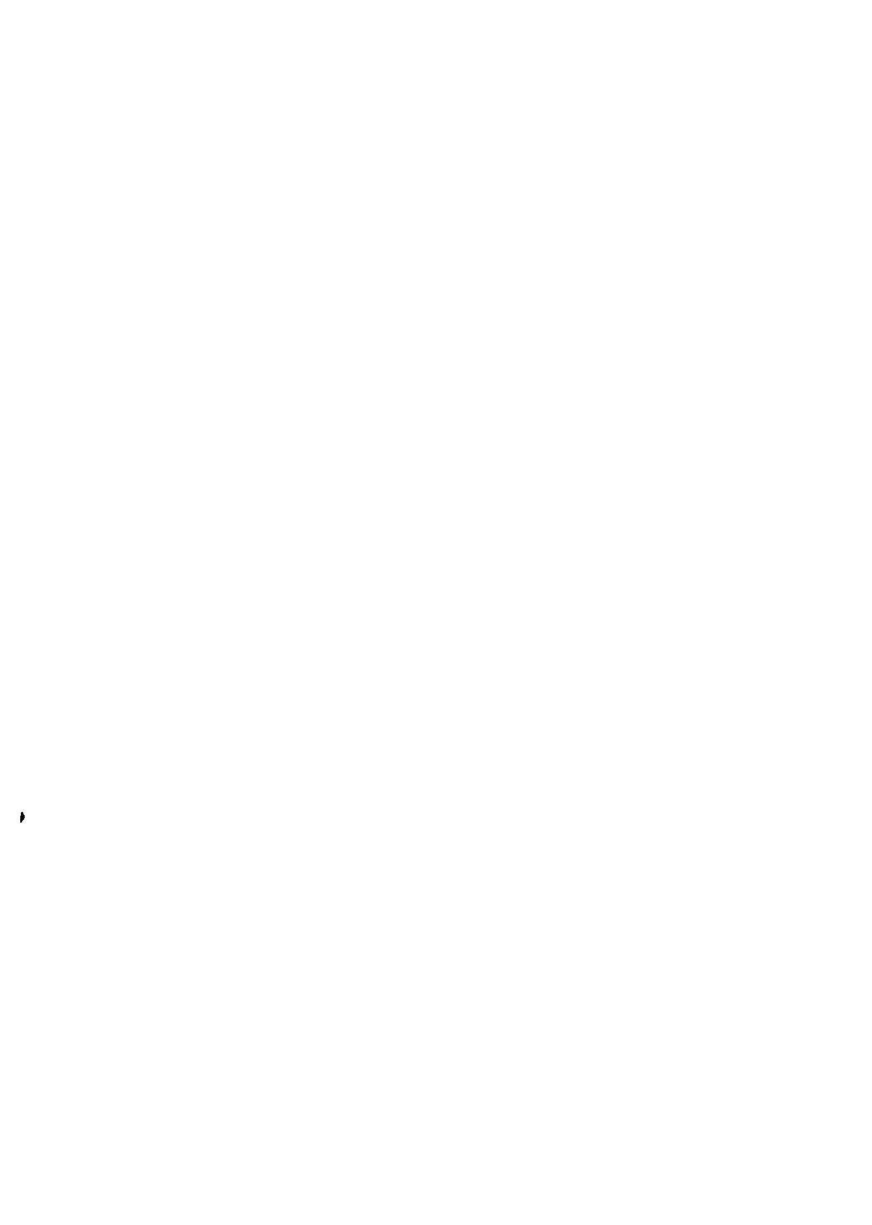




كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (6) - قارة أستراليا (كتاب مسموع)
987 مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (5) - قارة أوربا (كتاب مسموع)
908 مشاهدات • قبل سنة واحدة 100%

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (4) - اسيا والقارة القطبية (كتاب مسموع)
2.3 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (3) - أمريكا (كتاب مسموع)
2.1 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%



كتابك ٩٥

رئيس التحرير أنيس منصور

دكتور محمد أحمد العزب

الإعجاز القرآنى

من الوجهة التاريخية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدّمة

فى موضوع كهذا الموضوع لا تستطيع هذه المساحة أن تزعم لنفسها أنها تقدم بحثاً أكاديمياً متعمقاً ، أو بحثاً شمولياً مستقصياً ، لأن القضايا التى أثارها الإعجاز القرآنى فى القديم والحديث ، أكبر من أن توجز مثل هذا الإيجاز ولأن الأقلام المبدعة فى هذا المجال أكثر من أن تضغط فى مثل هذا المدى المحدود .

كل ما تستطيع هذه المساحة أن تزعمه لنفسها هو أنها تُلْقى على الموضوع ورجاله مجرد ضوء تاريخى يُسلسل الفكرة فى أذهان المتلقّين .

ولقد كان واحداً من هموم هذه المساحة أن تنظر إلى القضية نظرة جديدة تضع عبقرية اللغة والجهود البلاغية والتيار النقدى فى قَرنٍ واحدٍ مع الإعجاز ، ولكنها آثرت أن تكب على علاقة البلاغة العربية وحدها بقضية الإعجاز (من الوجهة التاريخية) . ربّما لأن البلاغة فى النّهاية بحث فى عبقرية اللغة من خلال تحرك نقدّى ، والجهود البلاغية التى توقفنا عندها هنا هى الجهود التى لها صلة مباشرة بقضية الإعجاز دون سواها وهو كثير كثير .

فإن بدت الدراسة غير متعمقة أو بدا فى المسيرة التاريخية للقضية

بعض القصور– فتلك طبيعة كل مقدمة تفتح الطريق إلى عالم مملوء بالكنوز !

لقد ألقت هذه السطور ضوءاً نرجو أن يكون كاشفاً عن حتمية تصحيح الفهم فى قضية علاقة الإعجاز بعبقرية اللغة العربية ، وعلى الدراسات البلاغية وصلتها بالإعجاز كأساس موضوعى لتحديد ما نريده فى هذا المجال . وعلى الإعجاز القرآنى من الوجهة التاريخية كغاية تتحرك هذه الكلمات فى اتجاهها .

فإن تكن قد وفقت إلى هذا الفعل الكبير من خلال هذا المدى الصغير– فذلك مطمح كانت تنشد أن تقترب منه ، وإن تكن قد أخفقت فهى تحتفظ دائماً فى ضميرها بحكمة المحاولة وعذاب الوصول !

د . محمد أحمد العزب

مدْخَل

علاقة الإعجاز بعبقرية اللغة العربية :

من الضرورى أن تتوفّر الجهود على تصحيح الفهم فى قضية النظر إلى علاقة الإعجاز القرآنى بعبقرية اللغة العربية ، لأن هذه القضية ظلمت ظلماً فادحاً حين تصوّر الذين تصدّوا لها – حديثاً – أن علماءنا القدامى كانوا يخوضون فى قضية الإعجاز على ضوء المقاييس البلاغية التى اقتنصوها من عبقرية التعبير فى الشعر العربى ناسين أو متناسين أنهم بذلك يتجاهلون حقيقتين تاريخيتين :

الأولى : أن الدراسات البلاغية ، والدراسات القرآنية – تعاصرتا فى النشوء والتطور ، وأن ما تمّ تمامه فى الدراسات البلاغية – قبل نشوء الدراسات القرآنية – لم يتجاوز كثيراً بعض الملاحظات البيانية والبديعية التى ربّما نصادفها فى كتب التراث موزّعة بلا منهج هنا أو هناك ، والتى لا يمكن أن تشكّل أساساً لعلم مستقل وقائم بذاته .

والأخرى : أن علماءنا الكبار الذين ألّفوا فى الإعجاز القرآنى كانوا دائماً متفطنين إلى أن القرآن الكريم هو المقياس ، وليس الشعر العربى ، وأن ما جرى من موازنات بين التعبير القرآنى والتعبير الشعرى كان نوعاً من

التدليل المادىّ على وقوع الإعجاز فى تعبير – هو القرآن – دون تعبير – هو الشعر – مع وحدة اللغة ، ووحدة الحسّ المتلقّى ، ووحدة الإطار الزمانىّ الذى تخلّقتْ الظاهرة المقارنة فى أحضانه .

وإذن : فلا مبرر للقول بأن علماءنا القدامى كانوا يقيسون بلاغة القرآن على بلاغة الشعر ؛ لأن معنى ذلك أنهم كانوا يقيسون الأعلى بالأدنى ، ومعناه كذلك أنهم كانوا يهدرون قضية الإعجاز القرآنى ما داموا يقولون بأن بلاغة القرآن من بلاغة الشعر ؛ لأنه من المعروف أن المستويات الشعرية الفذة مقدور عليها دائماً مهما بلغت من تسامى الشكل والمضمون ، وما هكذا القرآن الكريم !

إن رجوع علمائنا إلى الشعر العربى فى مجال دراستهم لقضية الإعجاز كان نوعاً من التعبير عن روعة ما يجدون حيال النص القرآنى ، ونوعاً آخر من إقامة الدليل على أن هذا الكلام ليس من جنس ما يتلاغط به الشاعرون والكاتبون قبل نزول القرآن وبعد نزوله على السواء ! والعجيب الذى راعهم هو أن كل ما فى الشعر العربى من بلاغة تعبير ، وروعة معنى ، ودقّة نظم – فى القرآن مثله ، وكذلك فإن كل ما فى القرآن من مجاز واستعارة وكناية . وتشبيه ، وتمثيل ، وتقديم ، وتأخير . وقصر ، وفصل . ووصل – إلى آخر ما يرد فى هذا المجال – فى الشعر العربى مثله ؛ ومع ذلك فإن القرآن الكريم يقف وحده على هذه القمّة المنقطعة دون أن

يستطيع الشعر – مع ثبوت الشبه البلاغى – أن يدنو إلى مواقع السفح من قمة إعجازه وخلوده !

كان هذا هو التساؤل المثار .

وكان رجوع علمائنا إلى الشعر محاولة للإجابة القاطعة . .

إن كثيراً من القيم الشكلية والمضمونية يشترك فى التعبير عنها كلّ من القرآن والشعر ، فلماذا فى القرآن وحده الإعجاز ، وتتحقق المعجزة ؟

* * *

شىء آخر : يخالج القوم وهم يغوصون وراء حقائق الإعجاز : هو عبقرية اللغة العربية ؛ فمعروف أن اللغة حين يقيّض لها المبدع الحقيقىّ تصل إلى مستوى بشرىّ معجز ؛ وقد قُيّض للغة العربية – فى الشعر الجاهلىّ على الأقل – كثير من المبدعين العمالقة ، ومع ذلك فقد جاء القرآن الكريم لينسخ هذا المستوى المعجز ، ويعلو فوقه طبقات بلا حدود ! وهذا دليل على عبقرية اللغة التى وسعتْ طبقة فى البلاغة فوق طبقة الإبداع الذى تخيلته وجهةُ النظر النقدية العربية قمة الإعجاز والإبداع : أى أن لغةً مَا تُعطىِ إمكان التفوق على نفسها ، إنما هى لغة عبقرية بكل المقاييس .

بهذا الفهم يجب أن نرجع إلى قضية الإعجاز ، وإلى قضية علاقته بعبقرية اللغة العربية التى وسعت بمتْنها نفسه ، وبتركيباتها نفسها – هذا الإعجاز الخارق ، واستطاعت من خلاله أن تشع دلالات معجزة

تتحدى بها كل الزمان وكل المكان !

القياس إذن كان بالقرآن وليس بالشعر ، فكلما أحسّوا الانبهار أمام حقيقة تركيبية أو تعبيرية فى القرآن الكريم هرولوا إلى الشعر فوجدوها ربما بحرفيتها فيه ، ولكنهم يجدون الجذوة هناك منطفئة ، والإعجاز هناك مفقود ، وإذن فالرجوع لم يكن لقياس البلاغة القرآنية على بلاغة الشعر ؛ وإنما كان النقيض هو الصحيح . .

وأيضاً لم يكن رجوع التوثيق : فإذا صحّ أن طرفاً من طرفى القضية كان بحاجة إلى التوثيق فهو الشعر وليس القرآن الكريم ، وكذلك فإن اللغة التى استطاعت أن تحمل هذا الإعجاز وأن تكون إطاره التعبيرى والتركيبىّ إنما هى لغة مقتدرة وواعدة دائماً بمزيد من الاقتدار .

* * *

والذين يعترضون بأن القرآن معجز للعرب وحدهم لأنه بلغتهم نزل ، ولا يمكن أن ينسحب إعجازه على غيرهم ممن لا يتكلمون العربية ؛ لأن لكل لغة أسرارها الخاصة – ينسون حقيقة هامة هى أن اللغة بعامة ليست معجزة فى ذاتها ، عربية كانت أو غير عربية ؛ ولكن المعجز هو النفاذ إلى سرّ عبقريتها التركيبية والتعبيرية وما تطيقه من حمل الدلالات والمضامين ، وهو كذلك إخراجها من حدود العادة اللغوية إلى حدود الإعجاز اللغوى ؛ والدليل : أن لغةً كالعربية كانت تدور على أقلام المبدعين وألسنتهم ، فلما جاء القرآن الكريم فجّر فيها قوّة فذة وإعجازاً

فريداً تحدّى بهما كل مستويات التعبير البيانى الذى أعطته هذه اللغة والذى يمكن على مرّ الأيام أن تعطيه .

* *

ويمكن القول بأن تيار الدراسات البلاغية هو الذى أضاء علاقة الإعجاز القرآنى بعبقرية اللغة العربية بما كشف عنه فى النص القرآنى من أسرار المعانى وأوجه البيان وروائع البديع ؛ كذلك يمكن أن يتأكد القول بأن المصطلح البلاغى قد استفاد فى تأصيله من الدراسات القرآنية بما مكّن له فى تاريخ الحركة العلمية ، وهو مصطلح لا يزال يعود إلى تقسيماته القديمة التى تدور فى إطاراته الثلاثة : المعانى ، والبيان ، والبديع .

ومعروف أن علم المعانى علم يبحث فى المعنى من حيث مطابقته لمقتضى الحال ، وأنه يدور أساساً على محورى الفصاحة والبلاغة : أى أنه يراعى فى فصاحة الكلمة خلوها من التنافر فى الحروف ، ومخالفة الوضع ، والغرابة ؛ وفى فصاحة الكلام خلوه من تنافر الكلمات ، وضعف التأليف ، والتعقيد بنوعيه : اللفظى والمعنوى ؛ وفى فصاحة المتكلم كونها ملكة قائمة بنفسه يستطيع بها التعبير عمّا فى نفسه تعبيراً صحيحاً ؛ كما أنه يراعى فى الجانب البلاغى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلّة بفصاحته وفصاحة أجزائه ، بحيث تكون بلاغة المتكلم صفة قائمة به يتمكن بها من إنشاء كلام بليغ : أى أن علم

المعانى : علم يبحث فى المعنى من حيث مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .

ومعروف كذلك أن علم البيان علم يراد به إيراد المعنى الواحد فى تراكيب متفاوتة فى وضوح الدلالة عليه حقيقة أومجازاً ، والحقيقة هى ما استعمل من الكلام فيما وضع هذا الكلام له فى اصطلاح يكون به التخاطب ، أما المجاز فتارة يكون من طريق التشبيه ، وتارة يكون من طريق الاستعارة ، وتارة يكون من طريق الكناية : أى أن البيان : علم يبحث فى المعنى من حيث تأديته بطرق مختلفة .

ومعروف أيضاً أن علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال . ووضوح الدلالة على المعنى المراد والمحسّنات البديعية : معنوية كالمطابقة والمقابلة والمشاكلة والتورية واللف والنشر إلخ ، ولفظية : كالجناس والسجع والازدواج إلخ : أى أن البديع علم يبحث المعنى أواللفظ من حيث تزيينه وتدبيجه وإلباسه ثوباً رائقاً من الجمال .

وإذن فإن أثر علمى المعانى والبيان فى تحسين الكلام أثر (ذاتىّ) يتصل بصميم المعنى . . أما أثر البديع فيه فهو أثر (عَرضىّ) يأتى بعد أن يكون الكلام قد طابق مقتضى الحال ، وأوضح الدلالة على المعنى المراد .

وبديهى أن قضية البلاغة العربية مرّت بمراحل نشوئها وارتقائها ،

ومرّت كذلك قضية الإعجاز فى مراحل النشوء والارتقاء ؛ وتولد عن لقاء هذين الشقيقين تيار من الدراسات اللغوية والنقدية لا تزال ثماره تتفتّح يوماً فيوماً وجيلاً فجيلاً ، وما نظن أن حركة الزمن قادرة على وقف هذا التيار المتدفّع إلا أن تغيب شمس الحياة ، ويصبح العالم بلاحضارة روحية تعطى الحياة معنى الحياة .

وهذه التيارات من الدراسات البلاغية والقرآنية واللغوية والنقدية أبانت بشكل واضح عن عبقرية اللغة العربية ، وعن امتلاكها مزيداً من عناصر الإبداع والعطاء ، إذا هى صادفت نوعية معينة من القادرين على تفجير طاقاتها الكامنة ، وإخراجها من عزلة (الوضعية اللغوية) إلى فضاء (الجدل التاريخى) ، كما استطاع ذلك بحقّ أولئك الأعلام من أسلافنا الرائعين .

الدراسات البلاغية
وصلتها بالإعجاز من الوجهة التاريخية

لابد أن نفرّق فى رصْد ملامح الحركة العلمية التى أمدّها القرآن الكريم بقوانين نشوئها وتطورها جميعاً بين تيارين متعاصريْن : تيّار الدراسات البلاغية ، وتيار الدراسات القرآنيّة التى استقطبت قضية الإعجاز.

وقد يلوح التفريق الحاسم بين هذين التيارين الصديقين عسيراً وغير منطقىّ ؛ لأن كلاً منهما أفاد من الآخر وأفاض عليه ، بحيث بدا التيار البلاغىّ كأنه مُمَحَّضٌ لبيان إعجاز القرآن الكريم ؛ كما بدا تيار الدراسات القرآنية كأنه ممحّض لرصْد الظواهر البلاغية.

ولكن نوعية الحركة والاهتمام فى كل من التيارين هى التى يمكن أن تشكل الفرق الحاسم بين ما هو بلاغة مستقلة ، وما هو إعجاز مستقلّ ؛ حتى لو كانت كل شواهد البلاغة مستمدّة من القرآن ، أوكانت كل دلائل الإعجاز متكئة على قوانين البلاغة ؛ فلقد كان أحد التيارين يتأمل القضية البلاغية ليصل منها إلى حقائق الإعجاز ، وكان التيار الآخر يتأمل قضية الإعجاز ليصل منها إلى حقائق البلاغة ، وكان هذا بعينه هو الفرق

بين كلّ من التيارين :

فالذى يدرس البلاغة ليصل منها إلى حقائق الإعجاز مؤلف فى الإعجاز بلا جدال ، والذى يدرس الإعجاز ليصل إلى حقائق البلاغة مؤلف بلاغى بلا ريب . وعلى ضوء هذا الفرق يمكن أن نتأمل تاريخ كل من التيارين : البلاغى والإعجازى . نشوءاً ، وتطوراً ، واكتمالاً .

* * *

الجاحظ وابن المعتز

وقد بدت البلاغة العربية فى القرنين الأول والثانى مجرد لفتات بادهة سريعة لا توصّل قاعدة ، ولا تشكل منهجاً ، ولكن مطالع القرن الثالث بشّرت بعقلين بلاغيينْ تركا وراءهما ركائز لمنهج بلاغىّ أخذ فيما بعد يتحوّر ويتطور ويستحيل إلى تيار متدفع يضيف إليه كل جيل من ذكائه الخاص ، وملاحظاته العلمية ما انتهى به إلى تأصيل علم مستقلّ بأصوله ومصطلحاته ، وهو ما نعرفه اليوم بعلم البلاغة ، وكان النّسق القرآنى المعجز من وراء هذا التأصيل بما أمدّه به من فنون القول ، وطرائق التعبير ، وألوان العلاقات .

هذان العقلان البلاغيان هما : أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥) . وعبد الله ابن المعتزّ (٢٩٦) . .

وقد أودع الجاحظ بذور اتجاهه البلاغى كتابه : (البيان والتبيين) حيث تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة وما حسن من البيان ، وما راق من السجع . وتفطن إلى تحديد بعض المصطلحات البلاغية كالحقيقة والمجاز ، واهتدى إلى أصول نظرية النظم حيث قرر أن الكلمة الواحدة تحْسُنُ أو تشوه من خلال سياقيْن مختلفين مع ثبات الوحدة اللفظية والمعنوية للكلمة من حيث هى كائن لغوى ؛ كما تحدث الجاحظ عن ألوان من المصطلحات البلاغية كالبديع والاستعارة والكناية والتشبيه

والتقسيم والاستطراد والإيجاز والقلب ، وغير ذلك من هذه المصطلحات ، ولكنه عرض لكل ذلك من خلال رؤيته كفنّان متذوّق ، وليس كبلاغى محايد ، وإن كان هذا لا ينفى على الإطلاق أن الجاحظ كان واحداً من أوائل من رسّخوا للمصطلح البلاغى فى العقلية العربية ، وأن كل من جاءوا بعده تأثروا خطواته على هذا الدرب الطويل .

أما عبد الله بن المعتز فقد ألف أول كتاب فى (البديع) ، وقد استقصى فيه كل ما وقع له من ذلك : كالاستعارة [١] والتجنيس ، والمطابقة ، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها ، وما سماه الجاحظ المذهب الكلامى ، وتطرق إلى ذكر محاسن الكلام والشعر فتحدث عن الالتفاف ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، وتجاهل العارف ، والهزل يراد به الجدّ ، وحسْن التضمين ، والتعريض ، والكناية ، والإفراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، ولزوم ما لا يلزم ، وحسن الابتداء . . . وقد نحا ابن المعتز فى دراسته البلاغية منحىً تطبيقياً واسعاً ، وقدم فى أبواب كتابه — كما قال — ما وجده (فى القرآن واللغة وأحاديث الرسول ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع) . [٢]

---

(١) الاستعارة عند المتأخرين ليست من البديع كما سيأتى فى ص (٢٠) .

(٢) انظر كتاب البديع : المقدمة .

قدامة والجرجانى والعسكرى

وفى القرن الرابع الهجرى ظهر ثلاثة رجال كان لهم فضل بارز فى تطوير الدراسات البلاغية ، ودفعها إلى غاياتها البعيدة هم : قدامة بن جعفر (٣٣٧) والقاضى الجرجانى (٣٣٦) وأبو هلال العسكرى (٣٩٥) :

أمّا قدامة صاحب (نقد النثر) و (نقد الشعر) و (جواهر الألفاظ) فيذكر فى مقدمة كتابه (نقد النثر) [١] أن عمله يمثل استدراكاً علمياً على كتاب سلفه الجاحظ فى (البيان والتبيين) حيث إن الجاحظ لم يأت فى كتابه هذا على أقسام البيان ولا على وصفه ؛ ثم يبدأ فى تصنيف الكتاب على نحو علمى مفرقاً فيه بين العقل الموهوب والعقل المكسوب ، ويقسم البيان أقساماً أربعة :

(فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تُبَنْ بلغاتها ، ومنه البيان الذى يحصل فى القلب عند إعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذى هو نطق باللسان ، ومنه البيان بالكتاب الذى يبلُغ من بعُد أو غاب) [٢] . .

---

(١) ظهرت أخيراً نسخة خطية كاملة من كتاب (نقد النثر) فى مكتبة تشستربيتى برقم ٧٦٧ تحت عنوان «كتاب البرهان فى وجوه البيان» لأبى الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب . وقد نشر الدكتور أحمد مطلوب الكتاب كاملاً فى بغداد أخيراً .

(٢) نقد النثر : تحقيق طه حسين والعبادى ص ١٠ .

ثم يستطرد إلى تحديد مفردات هذه الأقسام فيحلل ويحدد معانى القياس ، والخبر ، والاشتقاق ، والتشبيه ، واللحن ، والرمز ، والوحى ، والاستعارة ، والأمثال ، واللغز ، والحذف ، والصرف ، والمبالغة ، والقطع والعطف ، والتقديم والتأخير والاختراع . . ولما كان تأليف العبارة فى كلام العرب - كما يقول - إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منثوراً ، والمنظوم هو الشعر ، والمنثور هو الكلام - فقد تناول كلاً من القسمين «الشعر والنثر» بالدراسة والتأمل من الوجهة البلاغية .

وقد أضاف فى كتابه (نقد الشعر) إلى الثمانية عشر محسّناً التى ذكر ألقابها ابن المعتز ثلاثة عشر محسناً ، هى بترتيب ورودها فى كتابه : الترصيع ، والغلو ، وصحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، والتتْميم ؛ وقد ضمّنه ما سمّاه ابن المعتز بالاعتراض ، والمبالغة ، والإشارة ، والإرداف ، والتمثيل وقد سمّى بعده باسم المماثلة ، والمطابق وسمّى بعده باسم التعطف ، والتوشيح وقد وسّع معناه بالقياس إلى ما سمّاه ابن المعتز باسم ردّ الأعجاز على ما تقدمها من الكلام ، والإيغال . أما التكافؤ عنده فهو الطباق عند ابن المعتز وقد آثر البلاغيون تلقيبه له وتسميته [١] .

وواضح أن قدامة بدأ يضع لأفكاره البلاغية أساساً منهجياً ، وأن القرآن الكريم كان محور فقهه البلاغى ومصدر استشهاداته وتطبيقاته ،

---

(١) انظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقى ضيف ص ٩٢ .

وأن الحسّ البيانى فى عرض المصطلح البلاغى على القرآن كان من الشفافية والاقتدار بحيث يضع صاحبه فى مكانه الحقيقى من حركة التطور وحركة التأصيل .

* * *

وأمّا القاضى الجرجانى صاحب كتاب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) فقد ملأ كتابه هذا بأوجه المفارقة والتمييز بين أنواع الكلام ، وبشواهد الاستعارة ، والتشبيه ، والتجنيس ، والمطابقة ، والتقسيم ، والتصحيف . والواقع أن كتاب (الوساطة) هو إلى النقد الأدبى أقرب منه إلى التقعيد البلاغى ، وأن ما ورد فيه من المصطلح البلاغى لا يعدو أن يكون لازماً من لوازم الدراسة النقدية التى تستعين فى حركتها بكل العلوم المساعدة ، والبلاغة فى طليعة هذه العلوم ، ولكن هذا لا يمنع أن الذى قال بحق من الوجهة النقدية – (الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم ، والأعرابى والمولد) (١) – هو نفسه الذى قال – بحق أيضاً – من الوجهة البلاغية : (. . . وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ؛ فقد رأيت بعض أهل

---

(١) الوساطة ص ١٢ .

الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس :

والحب ظهر أنت راكبه فإذا صرفت عنانه انْصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ؛ وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أوالحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه : فهو إما ضرب مثل ، أوتشبيه شيء بشيء ؛ وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة ، فجعلت فى مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له من المستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر)(١)

من هذا يتبين أن القاضى الجرجانى كان عقلاً بلاغياً بقدر ما هو عقل نقدىّ ، وأن الإضافة التى تركها فى الحقل البلاغى تمثل نوعاً من البصيرة النافذة فى التمييز ين الأشياء على الرغم من قلتها وتواضع حجمها الكمىّ إذا قيست بمقياس التصنيف الموضوعى . أما إذا قيستْ بمقياس شيوعها فى غيرها من الأقسام فهى كثير مبثوث فى تضاعيف كتابه الكبير . . ، ومهما يكن من شيء فقد أعطت بصيرة هذا الناقد الدراسات القرآنية بعد ذلك حسّ معانقة النصّ بالتذوق الفاهم قبل محاكمته على ضوء القواعد الجامدة ، والمصطلحات الجهمة الأسارير !

* * *

(٢) الوساطة ص ٣٢ .

وأما أبو هلال العسكرى صاحب كتاب (الصناعتين) فقد صدّر كتابه ببيان معنى البلاغة واختلاف الناس فى التعبير عنها ، ثم عقد أبواباً لتمييز الكلام جيّده من رديئه ، ولمعرفة صناعته ، ولحسن سبكه ، وللإيجاز والإطناب ، وللتشبيه ، والسجع ، والازدواج ، ولأنواع البديع التى استقصى منها خمسة وثلاثين نوعاً ذاكراً أنه زاد فيها على ما أورده سابقوه ستة أنواع ، وقد عدّ أبو هلال من البديع الاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والتذييل ، والاعتراض ، وهى ليست عند المتأخرين من البديع ، ثم ذكر باباً أبان فيه عما يحسن من المبادئ والمقاطع وما لا يحسن .

ولعل منهج أبى هلال يستعلن بشكل واضح فى مقدمة كتابه حيث نوّه بمعرفة علم البلاغة، وأكد ضرورته لفهم إعجاز القرآن الكريم ، وللتمييز بين جيّد الكلام ورديئه ، ولوقوف الكاتب والشاعر على ما يجب استخدامه من أساليب اللغة وألفاظها الجيدة البليغة .

ويجنح أبو هلال إلى تجسيد غايته المنهجية من تأليفه لكتابه معرضاً فى ذلك بكتاب الجاحظ (البيان والتبيين) فيقول : (إن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتشرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير) ؛ كما يعلن أن تأليفه لكتابه (الصناعتين) كان من ورائه قصْدُ تدارك النقص فى كتاب الجاحظ ، وقصد الكشف عن الحدود والأقسام لوجوه البيان ،

وأنه لم يؤلف كتابه على طريقة المتكلمين ؛ وإنما ألّفه على طريقة صنّاع الكلام من الكتاب والشعراء .

هذا هو منهج أبى هلال فى تناوله للقضية البلاغية ، وقد اتّكأ فى عمله – كما فعل أسلافه – على القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، والشعر العربى ، يستمدّ منها ركائزه وتطبيقاته .

* * *

رجال آخرون

وفى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى ، ظهر رجال كان لهم أثرهم الكبير فى تشييد صرح البلاغة العربية استلهاماً من حقائق الإعجاز فى القرآن الكريم ، وكان من هؤلاء : الشريف الرضى (٤٠٦) وابن رشيق (٤٥٦) وعبد القاهر الجرجانى (٤٧٤) :

أما الشريف الرضى فقد ألف كتابه (المجازات النبوية) حيث بحث فيه جملة من كلام النبى ﷺ ، وأطلق المجاز فى هذا الكتاب - كما أطلق الاستعارة - على أوسع ما تعرفه العربية لهذين اللفظين من المعنى : فالكناية ، والتشبيه ، والمجاز المرسل ، والمجاز اللغوى ، والاستعارة - كل أولئك مجاز عنده ، وإن شاء فاستعارة . وقد كان هذا مألوفاً غير مستنكر إلى هذا الوقت .

* * *

وأما ابن رشيق فقد وقف كتابه : (العمدة فى محاسن الشعر وآدابه) على أحسن ما قيل فى معانى الشعر ومحاسنه وآدابه ، ثم ذكر أبواباً للبلاغة والإيجاز ، والبيان ، والنظم ، والبديع ، والمجاز ، والتمثيل ، والتشبيه ، والإشارة وأنواعها من التعريض والكناية والرمز وغيرها ؛ كما ذكر أبواباً للتتبيع ، والتجنيس ، والترديد ، والتصدير ، والمطابقة ، والمقابلة ،

والتقسيم ، والتسهيم ، والتفسير ، والاستطراد ، وغير ذلك من أنواع البديع .

* * *

وأما عبد القاهر الجرجانى صاحب كتابى (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) فقد فرق فى كتابيه بين أنواع المجاز ، وجعل بعضه مرسلاً وبعضه استعارة ، ووضع الحدود الحاسمة بين كثير من الأنواع المتشابهة ، ولعله أول من كتب فيما اصطلح بعدُ على تسميته بعلم المعانى ؛ فهو بحق أول مؤصّل جمع ما تشذّر وأخضعه لقاعدة عامة ، وأضاف إلى مباحث السابقين مباحث جديدة .

و (كانت الفكرة التى بنى عليها عبد القاهر كتابه (دلائل الإعجاز) تدور حول بلاغة الكلام ، وأنها تكون فى النظم ، وأن النظم هو تعلّق معانى الكلم بعضها ببعض ، وليس ذلك سوى أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل بقوانينه وأصوله ، وأن نظم الكلام تابع لمعناه) .[1]

أمّا كتاب « أسرار البلاغة » فله هدف آخر غير كتاب « الدلائل » ذلك أن مسائل المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية مسائل لها دخل كبير فى بلاغة القول حتى أفردها بعض الباحثين بالدراسة المستقلة ، فكان من

---

(١) الدكتور أحمد أحمد بدوى – عبد القاهر الجرجانى وجهوده فى البلاغة العربية – ص ٢٩٧ .

ذلك أنْ ألّف عبد القاهر كتابه «أسرار البلاغة» ، ليعالج هذه الأبواب معالجة خاصة ، تبيّن سحرها وألوان فنونها ، ولعله رأى أنه لا مزيد عنده من القول فى باب الكناية ، فاكتفى بما ذكره من الحديث عنها فى دلائل الإعجاز[1] .

* * *

وفى القرن السادس ظهر الزمخشرى (٥٣٨) صاحب التفسير المعروف بتفسير (الكشّاف) وصاحب كتاب (أساس البلاغة) . وإذا كان الذى يعنينا هنا الآن هو كتابه (أساس البلاغة) فإنه قد عمد فيه – لأول مرة – إلى مواد اللغة مادة فمادّة ، فبيّن فى كل مادة منها الاستعمالات الحقيقية والاستعمالات المجازية . ويلاحظ كثير من الباحثين أن العربية أفادت بلاغياً من تمثيل الفكرة العلمية فى كتاب الزمخشرى (الكشّاف) ؛ كما أفادت فى كتاب (أساس البلاغة) تطبيقات وافية على هذه الأساسيات .

* * *

وفى القرن السابع ظهر السكّاكى (٦٢٦) وقد نصحت ثقافته الفلسفية على نظرته البلاغية ، واستعلن ذلك فى تقسيماته الصارمة ، وحدوده الحاسمة ؛ مما أدخل كثيراً من المسائل البلاغية تحت أسمائها الحقيقية ، فقرر لها أصولها ، وقعّد لها قواعدها ، وربما كان كتابه (مفتاح

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

العلوم) خلاصة طيبة لعلوم النحو والصرف والبلاغة (المعانى والبيان والبديع).

* * *

ثم جاء ابن الأثير (٦٣٧) صاحب: (المثل السائر) و(الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) وهو فى هذا الكتاب الأخير – كما يقرر فى مفتتحه – يعكف على آراء أسلافه من العلماء فى تأليف الكلام: من أمثال: الرمانى، والآمدى، والجاحظ، وقدامة، وأبى هلال، والغانمى، وابن سنان. وغيرهم؛ ثم يقارن ويحلل ويخرج بتقسيمات خاصة به.

وفى كتابه (المثل السائر) يجرى على النحو الذى لزمه فى (الجامع الكبير) ويبنى الكتاب على مقدمة ومقالتين: فيذكر فى المقدمة أصول البيان، ويذكر فى المقالتين فروعه، ويخص أولاهما بذكر الصناعة اللفظية، والأخرى بذكر الصناعة المعنوية.

* * *

وفى القرن الثامن ظهر القزوينى (٧٣٩) وقد أراد أن يجمع بين طريقتى الإمامين: عبد القاهر والسكاكى ملتفتا إلى استدراكات ابن الأثير على من سبقه من العلماء. وبدأ بتلخيص القسم الثالث من (مفتاح العلوم) الذى صنّفه السكّاكى، والذى يراه (أعظم ما صنف فى علم البلاغة من الكتب المشهورة نفعاً؛ لكونه أحسنها ترتيباً وأتمها تحريراً

وأكثرها للأصول جمعاً) [١] ، ولكنه لم يقنع بالتلخيص على الرغم من كل ما أضافه إليه من تحقيق وتهذيب وترتيب ، فكتب (الإيضاح) ؛ ليفصّل فيه المجمل ، ويوسع الضيق ، ويستدرك به ما خلا منه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم ، وما خلا منه المفتاح من كلام عبد القاهر فى كتابيه (دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة) ؛ ثم ما استطاع هو أن يقدم من اجتهادات .

* * *

ويبدو أن حركة فَتَاء العقل البلاغى العربى كان قد أدركها الفتور والذواء ، فتجمدت ، وصارت إلى اختصار مطول ، أو إطالة مختصر ، أو اعتراض على عبارة ، أو دفاع عن عبارة على طريقة الفلاسفة ، وليس على طريقة الأدباء وعلماء النقد اللغوى . وكان هذا الذواء بداية لعهود من الاسترخاء الفكرى رانت فيها على البلاغة العربية عوامل الجدب والانحسار !

* * *

هذه جهود فريق من العلماء الذين تخصصوا فى تَقْعيد الدراسات البلاغية وتطوير مفاهيمها وقضاياها ، والإضافة المستمرة إلى مقولاتها ، والعمل الدائب على تحديد أقسامها وأنواعها ومصطلحاتها من خلال البصر الثاقب بما فى القرآن الكريم من كنوز التعبير والتصوير .

---

(١) من خطبة الخطيب فى مفتتح (تلخيص المفتاح) .

والذى يعنينا تأكيده هنا هو أن هذا الفريق من العلماء كان معنيا بالدراسة البلاغية بالدرجة الأولى : أى أن اهتمامه الأول كان موجهاً إلى الدرس البلاغى ، وإن كان ذلك قد حدث من خلال إكبابهم الطويل على القرآن الكريم من حيث هو نصّ معجز يمثل قمة منقطعة فى البلاغة والبيان .

وكان هناك فريق آخر من العلماء تخصص فى الكتابة عن (الإعجاز القرآنى) ، فقعّد وأصل وأضاف وطوّر ، وقد فعل ذلك كله من خلال النظر العميق إلى حقائق البلاغة العربية بكل أقسامها وتفريعاتها من حيث هى نموذج وضعىّ لكمال الإبداع وقوة الخلق وارتفاع درجة التعبير .

وكان هذا فى ذاته دليلاً جازماً على أن الفكر العربى فى عصور سطوعه الأولى كان فكراً منهجياً من جهة ، وكان كذلك فكراً تكاملياً من جهة أخرى ؛ لأن تحدُّد فريق من علمائه ، وأيضاً تسلسلهم فى الدراسات البلاغية من ناحية ، وتحدّد فريق آخر وأيضاً تسلسلهم فى الدراسات القرآنية من ناحية أخرى – كان ولا يزال – دليلاً قاطعاً على أن قضية (المنهج) لم تكن غائمة فى أذهانهم كما قد يُظن : بدليل أنهم لم يخلطوا هذه بتلك ، كان دليلاً أيضاً على أن قضية (التكامل) لم تكن كذلك غائمة فى أذهانهم كما قد يقال ؛ حيث إنهم عملوا فيما بينهم على إكمال الدائرة ، فنهض كل فريق بجانب من جوانب الدرس والبحث والاستقصاء ، فلم يتركوا زاوية من زوايا الموضوع – القضية – بلا إضافة

أو إضاءة أو تفسير.

والجدير بالملاحظة والاعتبار هنا هو أن هذه الدراسات البلاغية والقرآنية معاً كانتا متعاصرتين أو تكادان، ومع هذه المعاصرة فإن نوعية منها لم تتحيف نوعية أخرى، وإنما التزمت كل منهما بقضية الإبداع فى مجالها الأصلى غير جاهلة بأن إنجازها فى هذا المجال يخصب بالضرورة الدراسة فى المجال الآخر؛ كما أنه يستفيد - بالضرورة أيضاً - من إنجازات الدراسة فى هذا المجال الآخر.

وعلى هذا النحو رفد كل تيار نظيره، وساعد كل مجال مقابله، فتخلّقت من هذه الحركة تيّارات علمية جادة لا تزال تمنح حياتنا الفكرية عطاءها المتجدّد، وشبابها الدائم الحضور.

الإعجاز القرآنى من الوجهة التاريخية

بدأت حركة التأليف العلمى فى قضية (الإعجاز القرآنى) حين بدأ زحف الحركة المضادة للإسلام يأخذ فى البروز والانسياح، فظهر الملاحدة والشكاكون، ولغوا فى القرآن، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وإذا كان القانون الطبيعى يفرض لكل فعل ردّ فعل مساوياً له فى الحركة ومضاداً له فى الاتجاه - فإن قانون الفكر المسلم نفر إلى المعركة مسلحاً بأحجام هائلة من الوعى الإيمانى والوعى العقلى والوعى العلمى؛ ليرد هذه الموجة الهاجمة على أعقابها، ويعمق الوجه المضىء لقضية الإعجاز فى أخلاد المسلمين.

وقد بدأ هذه الحركة وواصلها عدد من علماء العربية الأفذاذ الذين لهم بصر بالدراسات القرآنية والدراسات البلاغية معاً: كأبى عبيدة، والجاحظ، وابن قتيبة، والواسطى، والرمانى، والخطابى، والباقلانى، والشريف الرضى، وعبد الجبار، والجرجانى، والزمخشرى، والرازى، وغيرهم من أولئك الأعلام الذين نافحوا عن كتاب الله، وأضاءوا حول إعجازه الخالد كل المصابيح.

ويمكن القول بان حركة التفسير البيانى التى من خلالها درس الإعجاز فى القرآن – لم تكن قبل أبى عبيدة شيئاً مذكوراً ، وغاية ما يقال فيها – أنها كانت مجرد تفاسير ، وليست تفسيراً بيانياً على وجه القطع من هنا أومن هناك ؛ لأن المقصود بالبيان هو ردّ ما فى الآية أو الآيات إلى المصطلح أوحتى الحسّ البلاغى : إيجازاً ، أوإطناباً ، أوحقيقة ، أومجازاً ، أوكناية ، أواستعارة . أمّا أن تأتى الآية نفسها بالتصوير البيانى ، ثم يفسرها مفسّر جليل كابن عباس أوغير ابن عباس فليس هناك من فرق حين ذاك ين هذا التفسير وأى تفسير آخر إلا موضوع الآية ، أوطريقة تعبيرها القرآنى : ذلك لأن البيان هنا كامن فى الآية وليس فى التفسير ، وهذا هو الفرق .

ومن هنا – جازلنا أن نخرج هذه اللفتات من مسيرة التفسير البيانى الذى تطور من بعد إلى تفسيرات تستهدف قضية الإعجاز بالتحديد مخالفين فى ذلك جلّ كرام الباحثين ، وأن نقف ببداية الحركة الحقيقية فى هذا الاتجاه عند أبى عبيدة الذى استنفر إلى العمل فى هذا المجال ، فنفر على نحو من الامتلاء والفهم يؤكد للذهنية العربية استحقاقها لمزيد من التقدير والتنويه .

وأبو عبيدة هذا هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (٢٠٦) . وقد ألف فى هذا الصدد كتابه الرائد : (مجاز القرآن) وعرض فيه لأنواع من أساليب

القرآن ، ودلالات الألفاظ على غير معانيها الوضعية التى لها فى أصل اللغة .

ويقال : إن الفضل بن الربيع أرسل إلى أبى عبيدة يستقدمه إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة ؛ ليجيب عن سؤال إبراهيم بن إسماعيل الكاتب ، عن قوله تعالى : (طلْعها كأنه رءوس الشياطين) ، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله ، وهذا لم يُعرف ! ويستمر أبو عبيدة فى روايته فيقول : (فقلت : إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم : أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفىّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قطّ ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به ؟ وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً فى القرآن فى مثل هذا وأشباهه ، وما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز) .

وقد بنى أبو عبيدة منهجه فى هذا الكتاب على كثير من الأساسيات التى يمكن إجمالها فيما يلى : التفسير بالرأى ، والكشف عن وجوه القول فى العربية حين طمّ سيل العجمة فى عصره ، والكشف - ربما لأول مرّة - عن قوانين البلاغة العربية وتأصيل هذه القوانين من خلال منحىً تطبيقى ، ومحاولة الكتاب أن يسير على خطّ منهجىّ يبدأ فى الباب الأول

---

(١) معجم الادباء لياقوت - جـ ١٩ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

برسم الخطوط العريضة ، ثم يستطرد فى باقى الكتاب إلى التطبيق المستفيض والتحليل العميق .

ولا يريد أبو عبيدة من إعجاز ما نفهمه نحن من هذا المصطلح اليوم ، وهو استخدام الكلمة فى غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، أو إسناد الشىء إلى غير ما هو له ، ولكنه يريد بالمجاز معناه اللغوى ، وهو الطريق أو الممر : أى أنه يريد لكتابه أن يكون طريقاً أو ممراً إلى فهم أسرار التعبير فى القرآن .

وقد يعدّ كتاب (المجاز) من قبيل كتب الدفاع عن القرآن ، وليس من قبيل الكتب المعنيّة ببيان إعجازه وسحره ، ولكنه على أية حال خطوة رائدة على طريق الدراسات القرآنية من وجهة فريدة تضع الإعجاز فى طليعة اهتماماتها بلا جدال .

* * *

وفى القرن الثالث ظهر أبو عثمان الجاحظ ، وألف كتابه (نظم القرآن) ، وفيه قدم الجاحظ دفاعاً رائعاً عن بلاغة القرآن ضد كل حشوىّ ، ورافضىّ ، وكافر مباد ، ومنافق مقموع كما يقول . وإذا كانت آراء الجاحظ فى هذا الصدد قد حَمَلَها كتاباه الضائعان : (نظم القرآن) و (آى القرآن) [١] . فإن أغلب هذه الآراء مبثوثة فى كتبه الباقية وخاصة كتابيه : (البيان والتبيين ، والحيوان) ؛ مما يجعل حكمنا على عطائه فى

---

(١) ويقال إن الثانى جزء من الأول .

هذا المجال حكماً مؤسساً على يقين .

وقد اهتدى الجاحظ أول من اهتدى إلى نظرية النظم ، وأومأ إلى أن الكلمة تحسن أو تشوه من خلال سياقين مختلفين ، وذلك لما تصادفه من وضعية مغايرة تنشأ عنها علاقات جديدة تباين بينها فى موضع وبينها فى موضع آخر .

ومهما يكن من شيء فقد ظل الجاحظ اسماً يتردد على أقلام كل الذين كتبوا فى قضية الإعجاز موافقة أو مخالفة ؛ مما يؤكد أن دوره لم يكن مجرد صرخة فى واد ؛ وإنما كان دوراً أساسيًّا يَدْعَمه فهمٌ حقيقى لقضية البلاغة وقضية الإعجاز .

* * *

ثم يأتى ابن قتيبة (٢٧٦) ليؤلف كتابه : (تأويل مشكل القرآن) ، ويظهر فى هذا الكتاب تأثره الواضح بأبى عبيدة فى صوغ أفكاره وتشكيل مقولاته ، وبالجاحظ فى ردّه على الملاحدة وتصدّيه للخارجين ، ولكن ابن قتيبة يتفوق عليهما فى إحكام المنهج ودقة التبويب ، وفى بعض التفصيل الذى قدمه فى حديثه عن الكناية أو تعرضه للمبالغة . .

وينطلق ابن قتيبة فى كتابه من قاعدة الدفاع عن القرآن الكريم حين طمّ سيل التحريف ، والإلحاد ، واللغو ، والهجر ، والتشكيك ، والتناقض ، والاستحالة فى اللحن ، وفساد النظم . والاختلاف ، فيقول (فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمى من ورائه بالحجج النيّرة ،

والبراهين البينة ، وأكشف للناس ما يلبسون) [١] . . وقد استعان فى ردوده بالشعر العربى ليقيم الدليل ويسقط التهمة .

ويتضح منهج ابن قتيبة فى قوله : (وللعرب المجازات فى الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع أشياء كثيرة ستراها فى أبواب المجاز إن شاء الله تعالى ، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن) ، [٢] فالأسلوب القرآنى فى النهاية هو غايته المنشودة التى يضعها فى مناطها الصوابىّ من مشارف التقدير والاهتمام .

* * *

وفى القرن الرابع ظهر أبوعبد الله محمد بن يزيد الواسطى (٣٠٦) وأبو الحسن على بن عيسى الرّمانى (٣٨٦) وأبو سليمان حمْدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابى (٣٨٨) :

أمّا الواسطى فقد كتب كتابه : (إعجاز القرآن) : يقول الرافعى عنه : (وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجانى شرحاً كبيراً سمّاه

---

(١) المشكل لابن قتيبة .

(٢) المرجع نفسه – ص ١٥ .

المعتضد ، وشرحاً أصغر منه ، ولا نظن الواسطى بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ ، كما بنى عبد القاهر فى «دلائل الإعجاز» على الواسطى)[١] .

وأماّ الرمانى فقد كتب كتابه (النكت فى إعجاز القرآن) جواباً عن سؤال لرجل طلب إليه تفسير تلك النكت فى إجمال وبدون تطويل فى الحجاج ، ويرد الرمانى وجوه إعجاز القرآن إلى سبع جهات : (ترك المعارضة مع توافر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصّرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة)[٢] ويركز الرّمانى من هذه الجهات ، أو من هذه الوجوه — على (البلاغة) ، ويرى أن القرآن الكريم فى أعلى طبقاتها بما هو معجز بلا حدود .

ويحصر الرمانى البلاغة فى عشرة أقسام هى : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

ثم يتناول فى آخر الكتاب وجوه الإعجاز الأخرى التى أشار إليها فى أول الكتاب ، والتى تؤلف مع البلاغة وجوه الإعجاز كما يراه ، فيضىء فى سرعة — ما يعنيه بمصطلح ترك المعارضة ، والتحدّى ، والصرفة ،

---

(١) مصطفى صادق الرافعى — إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٥٣ .

(٢) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٧٥ .

والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن المستقبل ، ونقض العادة ، وقياس القرآن بكل معجزة .

* * *

وأمّا الخطّابى فقد كتب كتابه (إعجاز القرآن) ليبين أن الوجه فى إعجاز القرآن الكريم هو أنه (جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمناً أصحّ المعانى . . . وواضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يُرى شىء أولى منه ، ولا يُرى فى صورة العقل أمر أليق منه مودعاً أخبار القرون الماضية ، وما نزل من مثُلات الله بمن عصى وعاند منهم ، منبئاً عن الكوائن المستقبلة فى الأعصار الباقية من الزمان ، جامعاً فى ذلك بين الحجة والمحتجّ له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه ، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه) .[1]

والخطابى لا يهجم على موضوعه هكذا بلا مقدمات ، ولكنه يستعرض فى هدوء علمى ما ذكره السابقون من آراء غالية أو معتدلة فى قضية الإعجاز ، فيناقش فكرة الصرفة ويدلل على أن المراد غيرها ، ويناقش قضية الإخبار عن الكوائن المستقبلة ، ويذهب إلى أن هذا الإخبار نوع من الإعجاز وليس كل الإعجاز ؛ لأنه ليس بالأمر العام الموجود فى كل سور القرآن ، ويناقش القائلين بإعجاز القرآن البلاغى ،

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٢٨ .

ويقرر أنهم جروا فى ذلك على نوع من التقليد وضرْبٍ من غلبة الظن دون تحقيق وإحاطة ، وهذا لا يُقنع فى مثل هذا العلم .

ويعالج الموضوع على طريقته هو : فيذكر (أن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها فى نسب البيان متفاوتة ، ودرجاتها فى البلاغة متباينة غير متساوية : فمنها البليغ الرّصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطّلْق الرَّسْل ؛ وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذى ليس فى القرآن شىء منه ألبتّة :

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثانى أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه . فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حِصة ، وأخذت من كل نوع من أنواع شُعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين ؛ لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة . فكان اجتماع الأمرين فى نظمه مع نبوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خُصّ بها القرآن) .[1]

ويحدد نوعية الأسلوب القرآنى وتفوقه على سائر الأساليب فيقول :

وإنما تعذّر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها : أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التى هى ظروف المعانى والحوامل لها .

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٢٦ .

ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله ؛ وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه ، وأمّا المعانى فلا خفاء على ذى عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقّى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير الذى أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً) (١)

وقد سبق الخطابى إلى الإيماء العميق إلى نظرية النظم التى بنى عليها عبد القاهر فيما بعد ؛ فقال : (وأما رُسُومُ النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر ؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعانى ، وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه وبعض وتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها

---

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٢٦ - ٢٧ .

البيان) . [١]

ويذكر الخطابي وجهاً أخيراً للإعجاز هو صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس ، وكأنه يرمز بذلك إلى المنحى النفسى فى دراسة النصوص : (فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ، ومن الروعة والمهابة فى أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق) . [٢]

* * *

وفى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ظهر أبو بكر محمد ابن الطيب بن محمد الباقلانى (٤٠٣) وكتب فى الإعجاز كتابه (إعجاز القرآن) وقد تصدّى فيه لموجة الإلحاد التى حاولت أن تقتلع القرآن من سماوات جلاله لتعدله بالشعر وتوازنه ببعض الكلام ، فهب الباقلانى ليوضح أن إعجاز القرآن يأتى من جهة مفارقته لجميع وجوه النظم المعروف فى كلام العرب ، ومباينته لأساليبهم فى الشعر والسجع والكلام الموزون غير المقفّى ؛ ويقول : (وقد قدر مقدورن أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من أصناف البديع ، وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٣٦ .

(٢) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٧٠ .

الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدرب والتعود والتصنع لها . . . والوجوه التى تقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له ، والتوصل إليه ، ولكن قد يمكن أن يقال : إن أصناف البديع باب من أبواب البراعة ، وجنس من أجناس البلاغة ، وإنه لا ينفك القرآن عن فنّ من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحاتهم) .(١)

ويتوجه الباقلانى إلى القول بأن الإعجاز القرآنى كَامِنٌ فى القيمة الجمالية التى يطالع بها كل من يتأمله ؛ ويضيف أن الجمال هنا قيمة ليس من اليسير أن نعبر عنها أو نحدد ماهيتها تحديداً رياضياً ، فيقول : (فأما منهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه فى جهته ، وتحار فى بحره ، وتضل دون وصفه . . . وهو أدق من السحر ، وأهول من البحر ، وأعجب من الشعر)(٢)

ويخطو الباقلانى فى النظر إلى قضية الإعجاز خطوة أخرى حين ينظر إلى الوحدة الفنية) (٣) فى السورة من سور القرآن ، وليس فى مجرد كلمات من آية ، أو آية من آيات ، وذلك كما فعل مع سورة غافر وسورة النمل وأجزاء من سورة فصلت .

---

(١) إعجاز القرآن ص ٩٨ .

(٢) إعجاز القرآن ص ١٤٨ - ١٤٩

(٣) نظر : أثر القرآن فى تطور النقد العربى . للدكتور محمد زغلول سلام .

ثم يأتى أبو الحسن محمد بن الطاهر الشريف الرضى (٤٠٦) الشاعر والكاتب. فيؤلف كتابه (تلخيص البيان فى مجاز القرآن) ويرى بعض الباحثين أنه لم يظهر قبل كتاب الشريف الرضى كتاب قائم بذاته فى مجازات القرآن الكريم؛ (فإن مجازات أبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ لا تدخل فى باب المجاز بمعناه البيانى، ومدلوله البلاغى المقابل للحقيقة عند علماء البيان، ولكنه «المجاز» بمعنى التفسير والشرح للكلمات، فكأنه مجاز لفهم المعنى، سواء أكان هذا المعنى وارداً على سبيل الحقيقة أم المجاز؟ وكذلك إشارات الجاحظ وتلميذه ابن قتيبة إلى المجازات والاستعارات بالمعنى الاصطلاحى عند البيانيين لم تكن إلا لمعاً بيانية منثورة فى كتب «البيان والتبيين» و«الحيوان» للجاحظ، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة، ولم تأخذ ذلك المنهج القائم الكامل الذى سلكه الشريف الرضىّ فى كتابه عن مجازات القرآن).[1]

وإذا كانت قضية الإعجاز فى كتاب الشريف الرضىّ لا تلوح بشكل مباشر فإنّ المتأمل لنفاذه العميق فى النص القرآنى، ووقوفه منه على دقائق لا يتهدّى إليها إلاّ كل مسلّح بفطنة النظر وأصالة التفكير – لا يملك إلاّ أن يضيف عمله هذا إلى ما سبقه وما لحقه من أعمال تضىء قضية الإعجاز.

* * *

ثم يأتى القاضى أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادى (٤١٥)؛

---

(١) انظر: الشريف الرضى – محمد عبد الغنى حسن ص ٧٩ – ٨٠.

ليخصص فى كتابه الكبير : (المغنى فى أبواب التوحيد والعدل) جزءاً للكلام عن إعجاز القرآن الكريم ، وليردّ هذا الإعجاز إلى الأداء ، وخواص التركيب ، وما يجرى فيه من نسب نحوية : (وبذلك وضع فى يد عبد القاهر مفاتيح النغم الذى وقّعه فى كتابه : «دلائل الإعجاز» ؛ حتى ليعد هذا الكتاب توضيحاً لنظريته فى الفصاحة) . (١)

وواضح هنا أن عبد الجبار لا يتوقف فى قضية الإعجاز عند الظواهر الخارجية فى التعبير القرآنى ، ولكنه يتوغل وراء السطح راصداً لكيفيّات الأداء ، وخواص التركيب ؛ ورهافة النّسب والعلاقات ؛ وهذه بدون شك خطوة فسيحة على طريق الدراسات القرآنية تضع قضية الإعجاز على مستوى المعاناة فى البحث ، لا على مجرد رصد المحسنات البيانية والبديعية رصْداً أوشك من طول تكراره أن يكون مسئماً ومملولاً .

* * *

وفى القرن الخامس يظفر البحث القرآنى بعقل عربى ممتاز ، هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (٤٧٤) صاحب (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) و(الرسالة الشافية) وفى هذا الكتاب الأخير أبان عبد القاهر عن وجهته فى تأليفه حين قال فى مطالعه : (وهذه جمل من القول فى بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن وإذعانهم وعلمهم أن الذى سمعوه فائت للقوى البشرية ،

---

(١) شوقى ضيف – البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٧١ .

ومتجاوز للذى يتّسع له ذرع المخلوقين) . [١]

وإذن فوجهته فى هذا الكتاب هى إثبات عجز العرب وليس إثبات إعجاز القرآن ، أو فلنقل : إثبات الإعجاز القرآنى من طريق السلْب لا من طريق الإيجاب . وقد أخذ عبد القاهر – من هذا المنطلق – يتصدّى لكثير من الشبه التى نثرها المرجفون فى طريق القرآن ونبيه العظيم : ومن هذه الشبه – شبهة انفراد الرسول بالعظمة البيانية جرياً على عادة الطبيعة التى تنجب فى كل عصر من العصور واحداً من أبنائها يفْرع أقرانه بلاغةَ منطقٍ وإعجاز إبداع ! وفى هذا – كما لا يخفى – محاولة لحمل القرآن على محمل تأليفاً أو تلفيقاً ، ويردّ عبد القاهر على هذه الشبهة ناقضاً لها من أساسها ، فيهدم الزعم بأن الطبيعة قادرة على إعطاء إنسانٍ ماّ قدرة الارتفاع على أهل زمانه بحيث تنقطع كل الأطماع عن معارضتّه : بدليل أن أرتالاً من العباقرة فى تاريخ الفكر والشعر ظهروا فى أزمان متفاوتة ولم يقل أحد بأنهم ظواهر معجزة لايدانيهم منافس ولا يضارعهم قرين !

ويرد عبد القاهر على من يزعمون أن عجز العرب عن معارضة القرآن نشأ من أنهم لم يستطيعوا النظم فى مثل معانيه ، لا لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم – بأن ذلك لم يكن هو التحدى الذى طرحه القرآن ؛ (فإن التحدّى كان إلى أن يجيئوا فى أى معنى شاءوا من المعانى بنظم يبلغ

(١) انظر : ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ١١٧ .

نظم القرآن فى الشرف أو يقرب منه ، يدل على ذلك قوله تعالى : «قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» أى مثله فى النظم ، وليكن المعنى مفترًى لما قلتم ، فلا إلى المعنى دُعيتم ، ولكن إلى النظم) .[1]

ويرفض عبد القاهر رأى القائلين بأن إعجاز القرآن الكريم كان بصرف العرب عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على ذلك ؛ لأنه كان من الطبيعى حين ذاك أن يقول العرب للرسول : لقد سحرتنا فأعجزتنا ، أوحتى يتذاكروا ذلك فيما بينهم فيؤثر عنهم ، ولكن ذلك كله لم يكن ، ولو أن الإعجاز كان بالصرفة كما يقال لأعلن النبى – منذ البدء – أنه إنما جاءهم بما لا قبل لهم به ، لأنه أُعطى إمكان أن يحول بينهم وبين كلام يستطيعونه ، ولكن ذلك كله لم يكن كذلك .

ويقرر عبد القاهر فى إطار جدلى رائع أن المعول عليه فى دليل الإعجاز هو النظم ، وهذه هى القضية التى أفردت لصاحبنا مكاناً بارزاً فى تاريخ الحركة الفكرية العربية على مرّ العصور ، وهو يردّ قضية الإعجاز إلى بلاغة النظم لاطّـراد هذه الظاهرة فى سور القرآن قصيرها وطويلها ، وإذن فليس موضع الإعجاز فى المفردات ، ولا المقاطع والفواصل ، ولا الضم ، ولا الغريب ، ولا سلامة الإعراب ، ولا فى فصاحة اللفظة فى ذاتها . . ؛ وإنما هو فى النظم والتأليف : أى فى نظم المعانى والتأليف بينها ، مع شمول ذلك كل جماليات البيان والبديع .

---

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ١٤١ .

وإذا كان عبد القاهر فى (الرسالة الشافية) رجل إعجاز يضع قضيته فى ذاكرته بلا فكاك – فإنه فى (دلائل الإعجاز) عند بعض الباحثين متكلم أو بليغ . كلامى الدرس . يُعنى أولاً وأخيراً بقضية الإعجاز فقط . وينصرف إليها انصرافاً تاماً . فيجادل عنها جدلاً منطقياً (١)

وعند بعض ثان باحث نحوى بيّن أن للكلام نظماً ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هما السبيل إلى الإبانة والإفهام ، وأن أساس هذا المذهب الذوق وتنبه الحسّ اللغوى لزنة الأساليب ودرك خصائصها (١) .

وعند بعض ثالث باحث أدبى عالج فى كتابه نظم الكلام وترتيب معانيه وما يعرض لها من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وفصل ووصل ، وقصر واختصاص ، محاولاً فى ثنايا كل ذلك أن ينقل الاهتمام من جانب اللفظ إلى جانب المعنى . . (٣) وقد حسم قضية اللفظ من حيث هو ؛ (فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ؛ وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ) (٤) ؛ كما حسم قضية المعنى على هذا النحو : (إنك إذا فرغت

---

(١) أمين الخولى – البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ص ٣٣ .

(٢) انظر : إحياء النحو لإبراهيم مصطفى .

(٣) انظر : من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده . للأستاذ محمد خلف الله أحمد ص ٧٧ .

(٤) دلائل الإعجاز ص ٣٨ .

من ترتيب المعانى فى نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً فى ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعانى فى النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها فى النطق) . .[1]

والحق . . أن عبد القاهر فى (الدلائل) هو هؤلاء جميعاً معاً : عنى بقضية الإعجاز ، وشيّد بناءه النظرى على أساس من فلسفة العلاقات فى النحو ، ووازن وحلل وأصّل بذهنية الناقد الأدبى الذى ينفذ إلى أعماق الظاهرة الأدبية فى مستويها : الشكلى والمضمونى .

ولابد من ملاحظة أن جهود عبد القاهر فى التنظير ترجع فى النهاية إلى خدمة قضية الإعجاز القرآنى : يدل على ذلك عنوان كتابه (دلائل الإعجاز) ، وإن كان فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب قد أغرق فى الاستشهاد بالشعر دون النص القرآنى ، ولكن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً .

* * *

وفى القرن السادس ظهر جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨) ، وكتب كتابه : (الكشاف) فى تفسير القرآن وبيان إعجازه وقد تأثر الزمخشرى مباحثَ عبد القاهر التى أصّلها فى علمى البيان والمعانى ، ولكنه لم يكن مجرد صدًى لعبد القاهر ، يردد ما قاله ويطبق على أساسياته ، بل

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٤ .

أضاف وأصّل واشتق لنفسه منهجاً ذاتياً يتسم بكثير من الحرية وكثير من الاستقلال ، وهو يرى أن القرآن كتاب معجز من جهتين : جهة إعجاز نظمه ، وجهة ما فيه من الإخبار بالغيوب .

وقد تابع قضية النظم ، لأن النظم كما يقول : (هو أم إعجاز القرآن ، والقانون الذى وقع عليه التحدّى ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسّر) (١) ولذلك فقد عالجه على نطاق واسع فى تفسيره الشامل لسور القرآن جميعها : (فوقفنا على مزيّة نظم القرآن من ناحية الجمال الحادث عن أحكام معانى النحو ، وتنبه إلى إيحاءات الألفاظ وما تلقيه من ظلال معنويّة ونفسية استجلى جمالها . وعرض للألفة النفسية والمعنوية بين الألفاظ المنظومة ، وحلل جمالياً المعانى النفسية الكامنة وراء النظم فى آى نظر إليها كوحدة معنوية ، واستعان ثقافته فى تحليلة الجمالى هذا للآى) (٢) .

كذلك تابع الزمخشرى إخبار القرآن بالغيوب ؛ ورأى أنه معجزة ، يقول : (فإن قلت من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة ؟ قلت : لأنهم لو عارضوه بشىء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه ، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ولا سيما أن الطاعنين فيه أكثف عدداً من الذابّين عنه ؛ فحين لم ينقل علم أنه إخبار

---

(١) الكشاف – جـ ٢ ص ٢٤ .

(٢) د . مصطفى الجوينى – منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه ص ٢٩٥ .

بالغيب على ما هو به . فكان معجزة) . [١]

وهكذا يلوحُ الزمخشرى – فى جوانب كثيرة من عطائه – رجلَ تحليل وتعليل متأثراً بالجانب العقلانى فى التراث من جهة ، وبالتزامه العقيدى كرجل اعتزال عنيد من جهة أخرى .

* * *

وفى القرن السابع يؤلف فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٦٠٦) كتابه (نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز) والكتاب يعتمد فى مجمله على ما كتبه عبد القاهر فى كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، كما يستفيد مُن غير عبد القاهر كالرمّانى والزمخشرى والوطواط ؛ وقد تعّرض الكتاب بالنقض لأربعة مذاهب فى الإعجاز وهى : مذهب الصرفة الذى قال به النظام ، ومذهب من قالوا بمخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والخطب والرسائل وخاصة فى مقاطع الآيات ، ومذهب من قالوا بأنه ليس فيه اختلاف وتناقض على حين يشيعان فى كلام العرب حتى لا يوجد لهم شعر ولا نثر يخلو منهما ، ثم مذهب من رَجَعُوا الإعجاز إلى اشتمال القرآن على الغيوب .

ورأى الرازى أن المذهب الصحيح فى رأيه هو تعليل إعجاز القرآن بفصاحته التى ترجع إلى الألفاظ والمعانى ، ثم يميل إلى الخوض فى مسائل

(١) الكشاف جـ ١ ص ٤٢ .

بلاغية بحتة تضفى على الكتاب طابعاً بلاغياً أكثر من الطابع الإعجازى الذى يشير إليه العنوان .

* * *

وحين نصل إلى هذه المرحلة من مراحل الزمن نلاحظ أن حركة الإبداع العربى فى التأليف بعامة ، وفى مجال الإعجاز القرآنى بخاصة – قد أصيبت بنوع من التوقّف استحال بعدُ إلى نوع من الجمود ، فكثرت الشروح على أصلٍ واحد ، وتواترت الحواشى على الشروح ، واستبدت المختصرات بالمطولات ، وانصرف المؤلفون عن المجاهدة فى سبيل الخَلْق الحقيقى إلى لون من ألوان الاسترخاء الفكرى الذى يعيش على تراث السابقين ، وهذه بداية الشيخوخة الفكرية فى تاريخ أى مسار عقلى يُؤْثر الموافقة والمتابعة على المعارضة والابتكار ؛ كما يؤثر أن يتدثّر بأردية الماضى منقطعاً عن مغامرة الجدل مع ضِلْعىْ الظاهرة الحميميْن : الحاضر والمستقبل ، وهذا هو ما حدث على وجه التقريب !

كلمة أخيرة

يتضح من تأمل الظاهرة التاريخية فى مسيرة التأليف القرآنى أن التأليف فى الإعجاز بدأ مجرد ردود محدودة على مجرد أسئلة مثارة تتعلق بكلمة أو خاطرة أو فهم فى آية معينة ؛ وبالطبع كان هذا اللون خاضعاً بالضرورة لمنطق ردّ الفعل بكل ما يحمل هذا المنطق من محدودية النظر ، وتسامح التحديد الاصطلاحى إلى حدّ الخلط الجهير بين هذه المصطلحات : (أبو عبيدة) .

ثم تطور التأليف فى الإعجاز إلى محاولات بادئة فى تحديد المصطلح ، والعمل على اكتشاف قارّات جديدة من المصطلحات مع طموح متعثر وغير مسبق إلى التنظير فى بعض جوانب هذا المجال المتراحب الآفاق : (الجاحظ وابن قتيبة) .

ثم تطور إلى كثير من الدقة العلمية التى حددت المصطلح ، وألحت على تعريفاته وتفريعاته ، وخاضت به فى عباب الجدل العقلى الذى كان يحمل هموم حضارة إسلامية بكاملها تجابه قوّات مناوئه تحاول أن تشوه وجه هذه الحضارة بكل ما أوتيت من لدد وافتيات : (الرمانى والخطابى والباقلانى) .

ثم يتطور التطور– إذا جاز أن يقال– فينتقل التأليف من مجرد

الملاحظة إلى التأصيل والتنظير ، ومن مجرد المجابهة إلى التأمل والإستنباط ، ومن مجرد التعريف والتفريع إلى فلسفة التفريعات والتعاريف : (الشريف الرضى وعبد القاهر الجرجانى) .

ثم ترسو زوارق التأليف فى الإعجاز عند النظر العقلى المجرد إلى كثيرٍ من قضاياه ، وعند لون من مزج هذه الدراسات بتيارات التفلسف والموقف الفكرى العقيدى مؤذنة بجمود الحركة عند هذا المدى الجاهم : (الزمخشرى) .

وهكذا كل الظواهر الفكرية والحياتية : إنها تبدأ مع مطالع فجرها ندیانة خضراء ، ثم ما تلبث الشمس أن تلوح وجهها الطيب ، فيبدو صارم الزوايا وإن كان يسْبح فى بهاء عالم شفيف شفيف !

المراجع

١ - كتاب البديع لابن المعتز .
٢ - نقد النثر - تحقيق طه حسين والعبادى .
٣ - البلاغة تطور وتاريخ - د . شوقى ضيف .
٤ - الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى .
٥ - البيان والتبيين للجاحظ .
٦ - الحيوان للجاحظ .
٧ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر .
٨ - أسرار البلاغة لعبد القاهر .
٩ - الرسالة الشافية لعبد القاهر .
١٠ - تلخيص المفتاح للقزوينى .
١١ - معجم الأدباء لياقوت .
١٢ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
١٣ - إعجاز القرآن للرافعى .
١٤ - ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق خلف الله وسلام .
١٥ - أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى - د . زغلول سلام .

١٦ – الشريف الرضى – لمحمد عبد الغنى حسن .
١٧ – البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها لأمين الخولى .
١٨ – إحياء النحو لإبراهيم مصطفى .
١٩ – من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده . لمحمد خلف الله أحمد .
٢٠ – الكشاف للزمخشرى .
٢١ – منهج الكشاف فى تفسير القرآن وبيان إعجازه – د . مصطفى الجوينى .
٢٢ – خطوات التفسير البيانى – د . محمد رجب البيومى .
٢٣ – تهذيب السّعد – لمحمد محيى الدين عبد الحميد .

فهرس

صدر من هذه السلسلة :

١ - طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ - الفضاء ومستقبل الإنسان	د. فاروق الباز
٣ - شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ - أسس التفكير العلمى	د. زكى نجيب محمود
٥ - عالم الحيوان	د. محمد رشاد الطوبى
٦ - تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ - الفلسفة فى مسارها التاريخى	د. توفيق الطويل
٨ - حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ - علم التفسير	د. محمد حسين الذهبى
١٠ - المسرح الملحمى	د. عبد الغفار مكاوى
١١ - تاريخ العلوم عند العرب	د. أحمد سعيد الدمرداش
١٢ - شلل الأطفال	د. مصطفى الديوانى
١٣ - الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ - البطولة فى القصص الشعبى	د. نبيلة إبراهيم سالم
١٤م - عيون تكشف المجهول	د. محمد عبد الهادى
١٥ - الحضارة	د. أحمد حمدى محمود
١٦ - أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ - المساواة فى الإسلام	د. محمد بديع شريف
١٨ - القصة القصيرة	د. سيد حامد النساج
١٩ - عالم النبات	د. مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ - العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ - السينما فن	صلاح أبو سيف

٤٤ – الأمثال الشعبية	محمد قنديل البقلى
٤٥ – التعريف بالاقتصاد	د . حسين عمر
٤٦ – المستوطنات اليهودية	حسن فؤاد
٤٧ – بدر والفتح	محمد فرج
٤٨ – الفلسفة والحقيقة	د . عبد الحليم محمود
٤٩ – الطب النفسى	د . عادل صادق
٥٠ – كيف نفهم اليهود	د . حسين مؤنس
٥١ – الفن الإذاعى	د . فوزية فهيم
٥٢ – الكتابة العربية	محمد شوقى أمين
٥٣ – مرض السكر	د . أحمد غريب
٥٤ – شوقى أمير الشعراء ... لماذا ؟	فتحى سعيد
٥٥ – الفلسفة الإسلامية	د . أحمد عاطف العراق
٥٦ – الشعر فى المعركة *	حسن النجار .
٥٧ – طه حسين يتكلم	سامح كريم
٥٨ – الإعلام ولغة الحضارة	د . عبد العزيز شرف
٥٩ – تاجور شاعر الحب والحكمة	على شلش
٦٠ – كوكب الأرض	د . فرخندة حسن
٦١ – السير الشعبية	فاروق خورشيد
٦٢ – التصوف عند الفرس	د . إبراهيم شتا
٦٣ – الرومانسية فى الأدب الفرنسى	د . أمال فريد
٦٤ – القرآن وحياتنا الثالثة	محمود بن الشريف
٦٥ – التعبيرية فى الفن التشكيلى	د . نعيم عطية
٦٦ – ميراث الفقراء	فؤاد شاكر
٦٧ – العمارة والبيئة	المهندس حسن فتحى

٦٨ – قادة الفكر الاقتصادى	د . صلاح نامق
٦٩ – المسرح الغنائى العربى	محمود كامل
٧٠ – الله أم الطبيعة	د . يوسف عز الدين عيسى
٧١ – بحر الهواء الذى نعيش فيه	د . مدحت إسلام
٧٢ – الأدب الفرنسى فى عصر النهضة	د . رجاء ياقوت
٧٣ – الحرب ضد التلوث	رجب سعد السيد
٧٤ – القصة والمجتمع	يوسف الشارونى
٧٥ – المنتظرون الثلاثة	عبد الله الكبير
٧٥م– محمود أبو الوفا	فتحى سعيد
٧٦ – العسكرية الإسلامية	لواء / جمال الدين محفوظ
٧٧ – النفايات الذرية	د . محمد عبد الله بيومى
٧٨ – الإعلام والنقد الفنى	د . أحمد المغازى
٧٩ – المسرح الأمريكى	د . عبد العزيز حمودة
٨٠ – زحف الصحراء	د . محمد فتحى عوض الله
٨١ – مشاكل الطفل النفسية	د . كلير فهيم
٨٢ – الأدب التركى	د . حسين مجيب المصرى
٨٣ – مضادات الحيوية	د . محمد صادق صبور
٨٤ – الرواية الإنجليزية	د . إنجيل بطرس
٨٥ – الضحك فلسفة وفن	جلال العشرى
٨٦ – الاستثمارات الأجنبية	د . عبد الواحد الفار
٨٧ – لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٨٨ – الحرب عند العرب	د . عبد الرحمن زكى
٨٩ – لئلا نحترف البكاء	نشأت التغلبى
٩٠ – الإسلام وروح العصر	د . حسين فوزى النجار

الكتاب القادم

سفراء النبى

د. مختار الوكيل

رقم الإيداع	١٩٧٧/٥٤٤٩
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ١٢٧ - ٢

١٦٢/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)